نبذات من عظات

القديسون

٣٨

القمص يوسف أسعد

نبذات من عظات

٣٨

القديسون

القمص يوسف أسعد

اصدار أبناء القمص يوسف أسعد

٢٠٠٠ م

الكتاب: القديسون
«محاضرة للقمص يوسف أسعد بكنيسة مار مينا بالفيوم فى ١٩٩١/١٢/٢١، وبكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية فى ١٩٩١/١٢/٢٦، منقحّة ومقدمة هدية تذكارية ليوم الطبيب بكنيسة مار يوحنا بنجع حمادى يوم ١٩٩٣/٣/٧، ولاجتماع الطالبات المغتربات بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية يوم ١٩٩٣/٣/٩ بمناسبة تذكار نياحة أبينا العظيم فى البطاركة قداسة البابا كيرلس السادس فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث وحبرية نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة ونيافة الأنبا كيرلس أسقف نجع حمادى جزيلى الاحترام»
الطبعة: الأولى ١٩٩٣
الثانية ٢٠٠٠
المطبعة: دار العالم العربى ـ الظاهر ـ القاهرة
إصدار: أبناء القمص يوسف أسعد
ص. ب. ٢١٢ الجيزة
رقم الإيداع: ١٥٠٣٨ / ٢٠٠٠

القديسون

بشر من تراب الأرض لكنهم **صاروا مقدّسين للرب أى مكرسين حياتهم لمجده**، سمعوا نداءه للكل «*اخرجوا من وسطهم واعتزلوا.. ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات..*» (٢كو ٦: ١٧، ١٨) فأمالوا سمعهم وأصغوا لكلماته واختاروا الرب واختياره لهم.

موسى النبى قال: «*أميل الآن*» وإشعياء النبى قال «*هأنذا أرسلنى*» وأمنا العذراء قالت «*هوذا أنا أمة الرب*» وماربولس قال «*ماذا تريد يارب أن أفعل*».

هؤلاء وغيرهم قداستهم بدأت باختيار الرب الذى عمل فيهم نحو شجاعة قرار اختياره. وعندما وضعوا الاختيار والقرار موضع التنفيذ بدأ طريقهم للقداسة يُعلن للخليقة.. دُفنوا مع الرب بالمعمودية وقاموا معه روحياً مولودين ثانية من الماء والروح بإيمانهم الشخصى المعلن أو بإيمان والديهم الذين حملوا مسئولية تلقينهم

الإيمان المختبر وأطاعوا والديهم فى الرب حتى نجحوا فى معرفة الرب. فلم يكن الاختيار إلا نجاح الاختيار السابق لاعلانهم تنفيذ القرار، كانت حياتهم البسيطة السابقة فى تناغم مع خوف الرب وتقاه.

على أن هذا الإعلان تبعه إستمراراً فى الحياه التقوية.. **لقد عاشوا كل حياتهم جهاداً فى طاعة وصايا الرب**، وقد استندوا فى ذلك الجهاد على النعمة التى تُكمل الضعف وتمنح القدرة.. فعاشوا فى ممارسة كل وسائط النعمة وجاهدوا على أدائها بمواظبةٍ وحبٍ ورغبةٍ لا عن قهر أو فرض أو اجبار.. صاموا وصلّوا وأعطوا وخدموا وتعبوا فى ممارسات وأعمال صالحة.

سار قدامهم معلم الصلاح فلم يشعروا بصلاحهم ولابممارستهم الصالحة، إنما شعروا أنهم غير مستحقين لكن لأجل صلاحه اختبروا سير الرب قدامهم وقيادته لهم فى دروبٍ ليتتلمذوا على صلاحه.

أخطأوا وسقطوا للقاع، فندموا فى مخادعهم واعترفوا له فى حضرة الكاهن فى خجل شجاع، وتابوا فى سهرٍ مستمرٍ دليل حبٍ لمّاع، وتأدبوا بيد الرب وقبلوا التأديب فى سحقٍ واتضاع.

ولما جاهدوا عاشوا المعاناة، معاناة رفض العالم المستمر للمسيح قائدهم وبالتالى رفضهم، معاناة ظلم العالم، هؤلاء الذين شهد لهم الكتاب «*لم يكن العالم مستحقاً لهم*»(عب١١ : ٣٨) عانوا من الغرباء والأقرباء والأصدقاءحتى الآباء.. عانوا فى احتمال أثقالٍ بل مروا بكثرة أحمالٍ عضالٍ، فشعروا بمعين من لامعين له ورجاء من لا رجاء له يحمل عنهم ويستر عليهم بيديه، فلم تضربهم شمس بالنهار ولا قمر بالليل.. وعاشوا هكذا طيلة زمان غربتهم فى وعد صادق أن الرب يميز أتقيائه (مز ٤ : ٣) حتى **رقدوا وهم يمجدون الرب**.

فاستمرارية جهادهم مع استمرارية تطلعهم نحو سند النعمة فى ممارسات بسيطة يومية منتظمة لم تمنعهم عن تأدية مسئوليات حياتهم العادية بأمانة حتى لحظة رقادهم.

رأينا القديسة ماكرينا تحتضن كتاب المزامير (الأجبية) وهى تحتضر، ورأينا البابا بطرس خاتم الشهداء ينهى القداس ليسلّم رأسه للسيّاف، ورأينا الأنبا مكاريوس أسقف قنا (المتنيح عام ١٩٩١) يرقد فى الرب وهو قبالة مذبح الرب وجسد الرب المرشوم بالدم الطاهر على يديه المباركتين، نعم.. لقد كملوا فى الإيمان فأعزّهم الرب

فى مماتهم كقول الكتاب «*عزيز فى عينى الرب موت أتقيائه*» (مز ١١٦ : ١٥).

لقد نزل السيد المسيح مع ملائكته القديسين يوم نياحة أمنا القديسة مريم العذراء ليأخذ نفسها بيديه الطاهرتين ثم أصعد جسدها للسماء لأنها قبلت أن تكون الفتاة الأولى التى تسلم له جسدها ليتجسد منه فى طاعة بنوية حقيقية.

وحينما رقد فى الرب من كان يقرأ الكتاب المقدس تسع ساعات يومياً وهو راكع على ركبتيه أفاض الرب منهما عطراً فائقاً ورائحة ذكية مازالت تفوح لكل جيل.

وعنصر الزمن فى صالح القديسين، مهما أهيل عليهم التراب أو دخلوا فى دائرة النسيان الإنسانى فإن الرب يستخدم فى كل جيل من يضعهم على منارة الكنيسة لإنارة الإيمان فى قلوب المجاهدين على الأرض، وها هى أجساد شهداء الفيوم المكتشفة أخيراً (فى عام ١٩٩١) تؤكد أن الذين ماتوا وهم يمجدونه سابقاً يسمح الرب باظهار مجده فى قديسيه ولو أخيراً.

لذلك فالقديسين وإن ماتوا يتكلمون بعد.. هابيل مات «*وإن*

مات يتكلم بعد» (عب ١١ : ٤) **فيصير لهم عمراً ثانياً يصيّرهم الرب فيه بركة للكنيسة** وهو الذى قال لهم «*تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم*» (مت ٢٥ : ٣٤).

لقد وعد الرب أبونا إبراهيم أب الآباء «*وأباركك، وأعظّم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض*» (تك ١٢ : ٢، ٣)، فالبركة من الرب للقديسين لحياتهم الشخصية، ولأسمائهم، ولوجودهم وموجوداتهم، ولمن معهم أو عكسها لمن عليهم، ولكل الأرض.

حياة القديسين بركة:

إذ هى مثال تصير مجال لإظهار الجمال الإلهى المنسكب فيهم وعليهم وبهم فى مماتهم وحياتهم.

ففى مماتهم قال لنا الكتاب «*انظروا إلى نهاية سيرتهم*» (عب ١٣ : ٧) لأن حياتهم تستحق أن تكون مجالاً للنظر والتأمل فتصير زاد بركة للناظرين إذ هى مجال للتاريخ «*فإنكم سمعتم بسيرتى..*» (غلا ١ : ١٣) وماربولس يمدح تلميذه تيموثاوس لأنه تبع تعليمه وسيرته (٢ تى ٣ : ١٠).

فكتابة سير القديسين الراحلين كما يحدث فى كتاب السنكسار أو مختصرة فى الدفنار نوع من **التاريخ المكتوب** عمن عاش الإنجيل فيهم **وعاشوا هم إنجيلاً حياً تقرأه الكنيسة أمامنا قبل قراءة إنجيل القداس لكى نتشجع أن كلام الإنجيل ليس صعباً إنما عاشه واختبره قديسين أمناء للمسيح وللكنيسة.** ما أروع العمل الذى قام به القديس يوليوس الإقفهصى فى تدوين سير الشهداء، الذى به احتفظت الكنيسة بكنوز من الإيمان الحى الذى امتحن بالنار والأسود وخرج أقوى إنارةٍ خادماً استنارة المؤمنين للآن وكل أوان.

يلازم هذا التاريخ المكتوب **التاريخ المرسوم** فى أيقونات روحية تعبر عن الحياة بالألوان فيتعلم منها من لم ينل تعليماً.

يضاف إليهما **التاريخ المسموع** فى الميامر (ميمر = قول أو سيرة) التى يجتمع حوله المؤمنون لسماع سيرة قديس تتلى عليهم من قارئ بينما يتبعه كاهن يبارك خيراتهم فتتحول حياة القديس المسموعة مجالاً للأغانى وكل ممارسات المحبة المضيافة.. قال الرب عن امرأة كسرت زجاجة عطر عند قدميه «*الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها*» (مر ١٤ : ٩، مت ٢٦ : ١٣).

أما حياة القديسين المعاصرين ففيها ربح القدوة تلاحظ أو تكتب فقد ذكرها مار بطرس عن سيرة النساء القديسات: «*وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة*» (١ بط ٣: ١).

كما ذكرها قداسة البابا شنودة الثالث بقوله «إن القمص ميخائيل إبراهيم كان بركة فى زماننا الحاضر. كان كل من يجلس إليه يشعر أنه يأخذ من الروح شيئاً. كان إنساناً نشهد أن فيه روح الله» (مثل فى الرعاية ١٩٧٧/ ص ١١٦).

وإن كانت حياة القديسين بركة ومثال وسيرة وتاريخ فإنها تحمل أيضاً دفاع القدوة الصامت.

يقول ماربطرس «*فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير.. ولكن إن تألمتم من أجل البر فطوباكم وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا بل قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف ولكم ضمير صالح لكى يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة فى المسيح يخزون فى ما يفترون عليكم كفاعلى شر*» (١بط ٣: ١٣ ـ ١٦).

حياة القديسين بركة وأيضاً:

صلـوات القديسـين بركـة:

فالصلاة هى شفاعة الروح «*الروح نفسه يشفع فينا*» (رو ٨: ٢٦) والقديسين كانوا هياكل للروح القدس: «*أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله*» (١كو ٦: ١٩).

لذلك فصلوات القديسين هى شفاعة الروح القدس فى هياكل مقدسة. وهى لذلك صلوات مقتدرة «*طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها*» (يع ٥: ١٦).

فصلوات إيليا النبى أغلقت السماء عن المطر ثلاثة سنين وستة أشهر ثم عادت أيضاً وفتحتها. وصلاة ماربطرس أقامت طابيثا من الموت.. وصلوات أبونا ميخائيل إبراهيم قال عنها قداسة البابا شنودة الثالث «تباركنا بصلواته» (مثل فى الرعاية/ ١٩٧٧/ ص ١١٦).

وصلوات القـديسين فى سـفـر الرؤيا هى البـخـور، وتقـدم مع البخور.. لقد «*خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون قسيساً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين وهم يترنمون*» (رؤ ٥: ٨، ٩)، «*وجاء ملاك*

آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله» (رؤ ٨: ٣، ٤).

ونحن نمارس إيماناً عاملاً حينما نضع شمعة أمام أيقونة قديس فنعبّر عن توسلٍ صامت فى ذبيحة دهنٍ تحرق فى حضرة الرب للرب أن يعمل فينا كما عمل فيهم ويكمل جهادنا كما أكمل جهادهم، وثقة حياتهم المنيرة تساعد ضعفنا على الاستنارة الروحية فى سائر طرقنا، وهى أيضاً شركة حب ووفاء بين من عبر ومن يجاهد حتى يعبر.

وحينما نقول «بركة صلواتهم» قبل أن نصلى فى مخادعنا أو اجتماعات الوعظ الروحية فنحن نثق أن محبتهم للرب تدفعهم إلى معاونة كل السائرين فى طريق مخافته ومحبته.. فالشاب المُجهَد عند عودته لمنزله وأراد أن يصلى فوجد جسده معاكساً ووقف أمام صورة (لا أيقونة) يحتفظ بها فى منزله للقديس مرقوريوس أبى سيفين وقال له: «بركة صلاتك تساعدنى أصلى» ثم دخل إلى حجرته فوجد نشاطاً روحياً وجسدياً غير طبيعى حتى أنهى الصلاة

وخرج ليجد والده ووالدته فى أركان إحدى حجرات المنزل يقولون له من ساعة دخولك حجرتك وأبى سيفين بحصانه يمر فى البيت بكل حجراته ورأينا ذلك جميعاً، فذهب أمام صورته يقول له: «شكراً.. حقاً فإن صلاتك غيرت موقف جسدى منى قبلها!».

أما صلاة أبونا القمص مرقس داود لخادم درجة حرارته ارتفعت فوق الأربعين بشرطتين، ثم نزوله خدمة وعظ ودرجة حرارته كما هى حتى إنتهى من العظة فعادت الحرارة إلى وضعها الطبيعى، هى التى ترافقه ويشعر بسندها فى كل خدمة وعظ يكون جسده منهك فيها.

قال ماربولس «*مصلّين بكل صلاةٍ وطلبةٍ كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبةٍ وطلبةٍ لأجل جميع القديسين ولأجلى لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلم جهاراً بسر الإنجيل*» (أف ٦: ١٨، ١٩).

بالإضافة إلى صلوات القديسين فإن:

حضـور القديسـين بركـة:

هذا الحضور يكون بالزيارة للمعاصرين، فعند حضورهم يحضر

معهم وعد الرب «*وأبارك مباركيك*» (تك ١٢ : ٣).

دخل ميخائيل أفندى إبراهيم منزل إنسان كان يحتفظ فى دولاب زجاجى (من أثاث ذلك الزمان) بزجاجات خمر وكؤوس مع الصينى، وعند اجتيازه عتبة باب الشقة سقطت كل محتويات ذلك الدولاب.. واعتبرها صاحب الشقة بركة دخول ميخائيل أفندى فلم يُدخلها بيته مرة أخرى وحتى وفاته.

أما حضورهم فيكون بالروح حقاً للراقدين خلال صلاة مجمع القداس الإلهى فى حضرة الرب فوق المذبح.. إن هذا الحضور علامة شركة حية تجمع الكل - راقدين ومعاصرين - فى حضرة السيد له المجد. لذا ينتهى المجمع بقول الشعب كله «بركتهم المقدسة تكون معنا» أى بركة حضورهم الحىّ مع ضعفنا خلال القداس الإلهى.

قال الكتاب عن سمعان بن أونيا الكاهن أنه «*إذ كان يأخذ حلة مجده ويلبس كمال زينته ويصعد إلى المذبح المقدس كان يُزيد لُباس القدس بهاءً*» (سيراخ ٥٠ : ١١، ١٢)، إذ أن حضوره بالقداسة الشخصية التى يحياها فى الرب كانت تُزيد لُباس الكهنوت رونقاً وجمالاً منسكباً عليه من الرب.

حقاً حضور القديسين بركة.. كذلك فإن:

أقـوال القديسـين بركـة:

لقد كانت أقوالهم تابعة لاستقامتهم.. **لقد استقاموا ثم قالوا.. فصارت أقوالهم خبرة دسمة فى فهم وهضم ومعايشة وصايا الرب**.. حقاً القديسين «*يقولون لك ومن قلوبهم يخرجون أقوالاً*» (أى ٨: ١٠).

الإيمان المختبر هو الذى يجعل لأقوال القديسين قوة كرازية فعلية تمجّد الرب كقول الرب «*الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له*» (مر ١١: ٢٣).. إن أقوالهم «*باسم الرب يسوع*» (كو ٣: ١٧) تعطى التعليم والإنذار، وتُغنى بالدسم والحكمة، وتفيض بالتعزية للمؤمنين والتمجيد لاسم الرب يسوع، وتدفع للتسبيح والشكر لله.. أقوال الآباء القديسين تفسيراً أو تأملاً، عظات أو خبرات، كلمات أو كتابات.. **أقوالهم تبنى الكنيسة لمجد الله**.

لقد أراد الرب أن يكشف قوة وقيمة أقوال القديسين لامرأة غنية

ذهبت إلى قداسة البابا زخارياس البطريرك القبطى ٦٤ (١٠٠٤ ـ ١٠٣٢م) وأعطته مبلغاً من المال فقال لها «الرب يقبل عطاياك» ثم صمت، فانتظرت هى أن يدعو لها دعوات أخرى لكنه لم يقل، فحزنت. ولاحظ ذلك تلميذه فأسرع إلى قداسته وأخبره. فطلب منه أن يستدعيها. وأمام جميع الناظرين فى قلايته البطريركية أمر البابا باحضار ميزان وأمسكه للمرأة، ثم وضع تقدمتها فى كفة الميزان، وفى الكفة الأخرى ورقة بيضاء كتب عليها «الرب يقبل عطاياك»، ثم أمرها برفع الميزان وأمام الجميع رجحت منها كفة الورقة. فقال لها البابا «خذى ما أردت». فحزنت المرأة أمام قول الإيمان هذا واعتذرت وأخذت الورقة واحتفظت بها كبركة (قصة الكنيسة القبطية لإيريس المصرى جـ٣ ص ٧٣).

وغالبية أقوال الآباء القديسين التى وصلتنا سجلها تلاميذهم فى حياتهم أو بعد رحيلهم فصنعوا بالكنيسة نفعاً جزيلاً.

حقاً إن أقوال القديسين الأحياء أو الراحلين بركة وكذلك:

رفات القديسين بركة:

بركة إيمان عاشها يوسف الصديق الذى رأى بالإيمان خروج

لم يكن فى الحسبان حتى أنه «*أوصى من جهة عظامه*» (عب ١١ : ٢٢، تك ٥٠ : ٢٤، ٢٥).. ثم عاشها موسى النبى فى الخروج عينه وهو يقود العبور إذ «*أخذ موسى عظام يوسف*» (خر ١٣ : ١٩).

احتفاظنا برفات القديسين بركة.. قال قداسة البابَا شنودة الثالث يوم دفن أبونا ميخائيل إبراهيم أسفل مذبح الكاتدرائية بالأنبا رويس «كنت أريد أن يصير جسد هذا الرجل البار سنداً لنا فى هذا الموضع نستمد منه بركة» (مثل فى الرعاية/ ١٩٧٧ ص ١٢٠).

ونحن نمارس تكريم رفات القديسين بالأطياب والحنوط لأن الرب له المجد حفظ لعظامهم بركة. لقد مات أليشع النبى ودفنوه «*وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر أليشع. فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه*» (٢ مل ١٣ : ٢٠، ٢١).

ونحن نشعر بالبركة إذ سمح الرب لنا أن نشترك فى عمل أنابيب خشب لحفظ عظامهم أو ستور أو مزارات.

إننا نحاول أن نأخذ بركة التكريم الذى صار لهم من الرب نفسه له المجد فى رفاتهم.. كما نشهد أيضاً أن:

أسماء القديسين بركة:

قال الرب لأبونا إبراهيم «*وأعظم اسمك*» (تك ١٢ : ٢)، فنطلق اسمائهم على أولادنا، وعلى أماكن مقدسة للرب: بيوت وقاعات وكنائس وأديرة.. لننال بركة أسمائهم فى تدبير أولادنا وبيوتنا بصلاح وخوف الله..

إن دير السيدة العذراء وسانت كاترين بسيناء حينما فَرُغَ منه الزاد (طعام/ ملح/ زيت/ ماء..) وخاف الرئيس على سلامة صحة الرهبان أمرهم بمغادرة الدير سيراً على الأقدام إلى القدس عبر سلسلة وعرة من الجبال، وظل هو آخر راهب يغادر الدير وحينما همّ بإغلاق الباب الغربى بالمفتاح وجد السيدة العذراء بجوار الباب واقفة فسألها أن تغادر الدير قالت له «كيف تأمر الرهبان بمغادرة الدير وأنا هنا موجودة؟» فقال لها من أنت؟ فقالت له «أنا الربيتة» (أى رئيس البيت) ثم أشارت له إلى المخزن الفارغ فدخله ليجده مرتباً بجميع أصناف الطعام والزيت والزيتون وخلافه بترتيب النساء المنظم، فخرج يهرول ويدعو الرهبان إلى العودة ويعتذر للربيتة التى أُطلق اسمها على الدير!

وهل ننسى اكرام الرب للقديس «تربو» أنه جعل مجرد ذكر

اسمه يمنع أثر سم الكلب (المسعور) حتى صيّرته أُمنا الكنيسة فى صلاة تمارس لمن تعضهم الكلاب المسعورة، وتسلّمنا منها أن نذكر اسمه خلال سيرنا فى الظلام نجاةً من أثر الحيوانات المضرة.

كتب قداسة البابا شنودة الثالث «مجرد اسم القمص ميخائيل بركة» (مثل فى الرعاية/ ١٩٧٧/ ص د).

ليس أسماء القديسين فقط هى بركة بل وأيضاً:

محبة القديسين معونة وهبة وبركة:

إننا نشعر بمحبة حقيقية نجاه من سماهم الكتاب المقدس «*أهل بيت الله*» (أف ٢ : ١٩) الذين تعلموا فى حياتهم أن ينتهزوا الفرصة لعمل الخير للجميع «*ولا سيما لأهل الإيمان*» (غلا ٦ : ١٠) فكم وكم تكون معونتهم ومواهبهم فى خدمة الكنيسة المجاهدة على الأرض ولكل تلاميذ المحبة.

إن ظهورات القديسين فى أجيال مختلفة وبصورة متعددة للعيون أو تشجيعهم للروحيات من خلال رؤى أو أحلام للمؤمنين والأتقياء فى جهادهم وأتعابهم لأجل الرب هو من أعمال محبة القديسين ومعونتهم التى تتبارك بها النفوس المصلوبة مع سيدها.

كاهن استعد للاعتذار عن خدمة بمدينة سوهاج، وفى الثالثة صباحاً ظهر له فى حلم قداسة البابا كيرلس السادس وهو يقدّس القرابين على مذبح كبير وعند انتهاء سيدنا من غسل الأوانى نظر للكاهن وقال له «ماتعتذرش يا ابنى عن أى خدمة» (١٩٩١/١٢/١٤) فقام الكاهن بفرح ليبدأ يومه فى الثالثة والنصف صباحاً ويسافر ويعظ ويعود فى نفس اليوم ليبدأ قداساً فى السادسة صباح اليوم التالى ويواصل مناولات للمرضى ثم اعترافات وصلاة على ميت مواصلاً الخدمة لحوالى ٤٠ ساعة متصلة بدون نوم أو كسل أو إحساس بالتعب. حقاً إنها محبة القديسين التى تعين وتشجع وتهب مالديها من وسائل لتعضيد انتشار كلمة الله فى القلوب.

وأليس فطير الملاك الذى يصنعه المؤمنين يوم ١٢ من كل شهر قبطى (وهو التذكار الشهرى لرئيس الملائكة الجليل ميخائيل) هو ممارسة محبة للجنود السماويين الذين بمحبتهم يمارسون معونة وحراسة شعب الله!

فتى أراد أن يأكل فطيرة ملاك وهى ساخنة بطعمها اللذيذ فانتهرته جدّته وقالت له: لا تأكل من الفطير إلى أن يباركه الملاك..

فتعجب الفتى وقال لها: كيف؟ فقالت له: عندما يكسر الفطيرة التى فوق هرم الفطير.. فقال لها: متى؟ فقالت له: اجلس بجواره وانظر.. وظل الفتى جالساً بجوار الفطير حتى الواحدة صباحاً حينما رأى بعينه ما سلّمته له جدته: رأى فطيرة فى أعلى الفطير تنكسر نصفين وحدها.. فدعا جدته التى حالما رأت الفطيرة المباركة بكسر الملاك أطلقت الزغاريد ثم أخذت توزع الفطير تحت طرحتها السوداء على الأحباب والمعارف قائلة «كلوا من الفطير الذى باركه الملاك»!!

حقاً إننا بمعسكر القديسين نكون محفوظين ومرشدين حتى نصل إلى اتحاد الإيمان وإلى معرفة مجد الله غير المحسوس وغير المحدود فإنه مبارك إلى الأبد فى قديسيه.

يتبقى أخيراً أن:

أعياد القديسين وتذكاراتهم بركة:

فالكتاب المقدس يوصينا «*اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله*» (عب ١٣ : ٧).. ونحن غالباً نحتفل بذكر آبائنا القديسين فى يوم انطلاقهم للسماء، يوم رحيلهم من الأرض.

فيكون يوم نياحتهم تجميعاً للنفوس حول المسيح فى تسابيح وصلوات وعظات وقداسات إلهية وأعمال رحمة ومحبة.. وكم تتصالح نفوس مع الرب ومع بعضها ببركة عمل الروح فى أعياد القديسين وتذكاراتهم. ما أخطر أن تتحول هذه الأعياد إلى ولائم أكل وشرب ولعب وتجارة وأعمال لا تمجد الله.

أعياد القديسين يزينّها المباركين.. بالجهاد الروحى والتعب المقدس لأجل خلاص النفس وبنيان الكنيسة. وتذكارهم فى أعيادهم بركةً لصانعيها كقول يشوع بن سيراخ «*ليكن ذكرهم مباركاً ولتزهر عظامهم من مواضعها وليتجدد اسمهم وليمجدّهم بنوهم*» (سى ٤٦: ١٤ـ ١٥) يمجدّون الله فى آبائهم وفى توبتهم الشخصية. ما أجمل ما قيل عن داود النبى أنه «*جعل للأعياد رونقاً وللمواسم زينةً إلى الانقضاء لكى يسبّح اسمه القدوس ويرّنم فى قدسه (هيكله) منذ الصباح*» (سى ٤٧: ١٢).

إن هذه الأعياد تزينها التوبة الصادقة والرجوع عن الإثم، والاعتراف عن الخطايا أمام الكاهن، والتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، **فالقديسين فى أعيادهم يمارسون لوناً من التعضيد للتائبين يعرفه الذين اختبروه وتباركوا به.**

لقد قيل عن إيليا النبى «*صنع فى حياته الآيات، وبعد موته الأعمال العجيبة*» (سى ٤٨ : ١٥) ولا يزال أبينا الشهيد مارجرجس، وأبينا القديس موسى الأسود يمارسون فى تذكارات أعيادهم أعمالاً معينة للتوبة أشهد بها أمامكم.. مثلما قيل عن صموئيل النبى «*من بعد رقاده تنبأ.. ورفع من الأرض صوته بالنبؤة لمحو إثم الشعب*» (سى ٤٦ : ٢٣).

إننى لا أنسى قول الإنجيل فى القداس الذى أقامه نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة بالكاتدرائية المرقسية الكبرى بكلوت بك، بينما كان جثمان قداسة البابا كيرلس راقداً على فراشه بالقلاية البطريركية، وكان لى شرف مشاركة نيافته فى خدمة ذلك القداس (الذى انتهى ٢,١٥ بعد الظهر).. كان البابا راقداً، وكان صوت الإنجيل مدوياً «*لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم*» (يو ٨ : ٣٩).

فإن تذكارات القديسين وأعيادهم تنادينا جميعاً أن نتشبه بالقديسين فى أعمالهم الروحية وتقواهم الشخصية وأمانتهم فى محبة المسيح والكنيسة حتى آخر نفسٍ فى حياتهم.

أهِّلْنَا يا إله القديسين، أن نتشبّه بالقديسين فى محبتهم لك حتى

نكون مستحقين نصيبهم السماوى وميراثهم الأبدى فى ملكوتك.. يا إله القديسين اسندنا فى غربة العمر وخلّصنا على خيّر، لأجل خاطر اسمك القدوس وصلواتهم عنا أمامك. آمين.

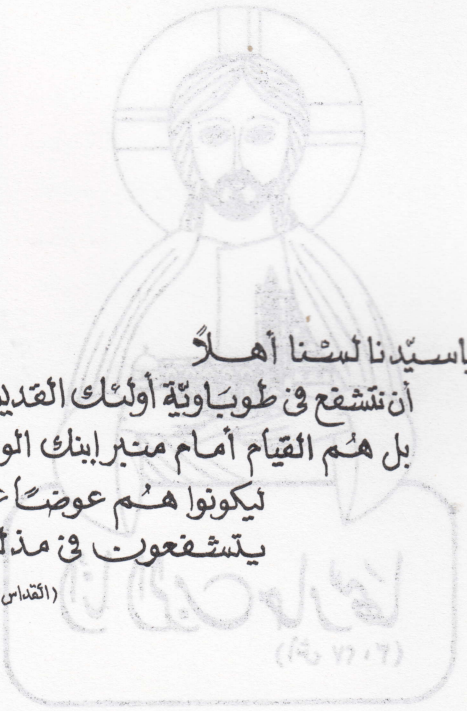

إننا ياسيّدنا لسنا أهلاً
أن نتشفع فى طوباويّة أولئك القديسين
بل هُم القيام أمام منبر ابنك الوحيد
ليكونوا هُم عوضًا عنا
يتشفعون فى مذلتنا

(القداس الإلهى)

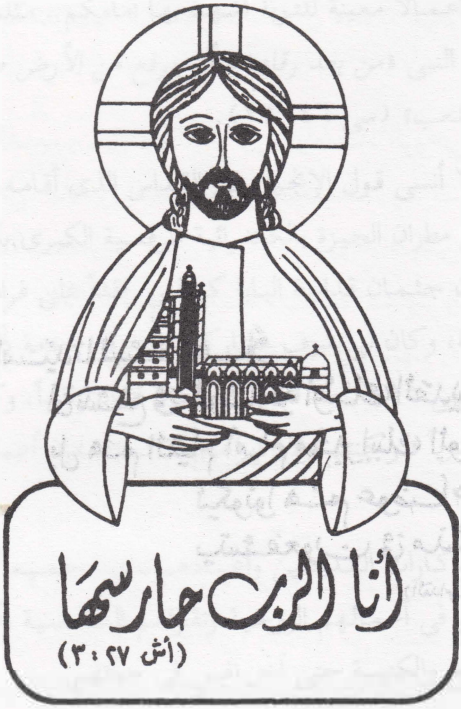
أنا الرب حارسها
(أش ٢٧ : ٣)

عنصر الزمن فى صالح القديسين، مهما أهيل عليهم التراب أو دخلوا فى دائرة النسيان الإنسانى فإن الرب يستخدم فى كل جيل من يضعهم على منارة الكنيسة لإنارة الإيمان فى قلوب المجاهدين على الأرض.. فالقديسين وإن ماتوا يتكلمون بعد، هابيل مات «وَإِنْ مَاتَ يَتَكَلَّمُ بَعْدُ» فيصير لهم عمراً ثانياً يصيّرهم الرب فيه بركة للكنيسة..

١١١٥١
٢٠٠٠٦٥